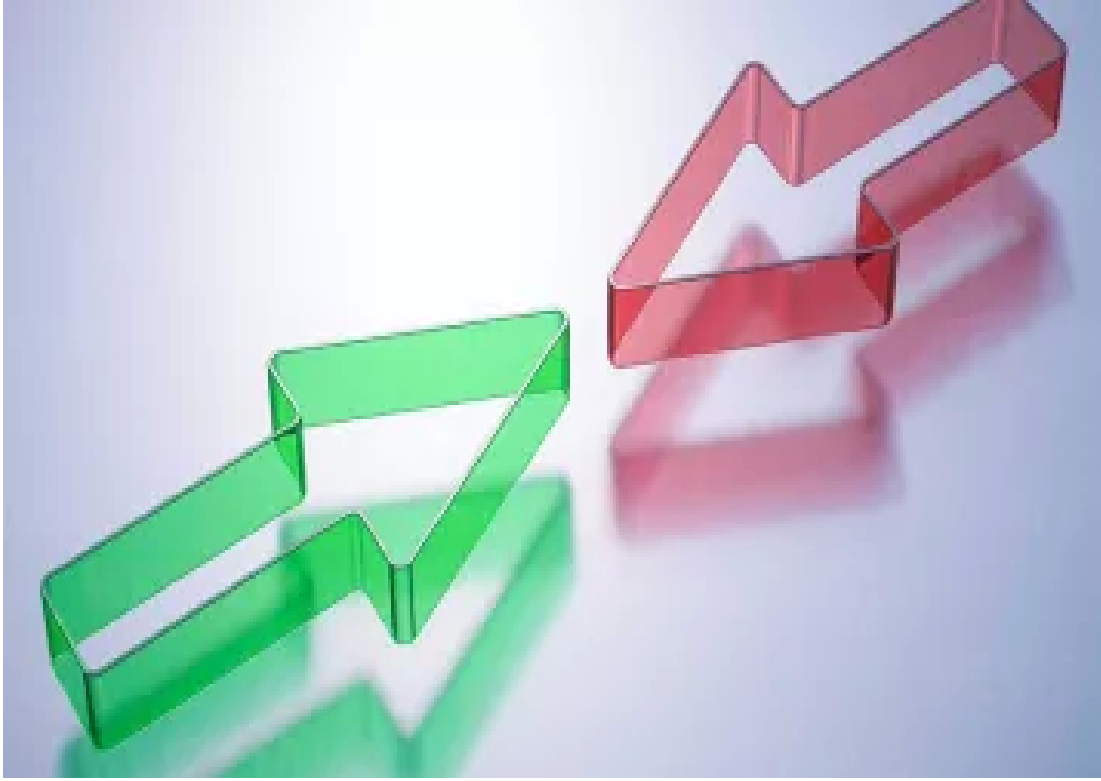


الدرس : 40 - سورة الأعراف - تفسير الآيات 138 - 141، الجهل والعلم متعارضان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

إغراق فرعون موسى الطاغية الجبار بقدره الله تعالى في البحر :

أيها الإخوة الأكارم، مع الدرس الأربعون من دروس سورة الأعراف، ومع الآية الثامنة والثلاثين بعد المئة، وهي قوله تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ (138) ﴾

[سورة الأعراف]

الحقيقة أن كلمة **﴿يَعْكُفُونَ﴾** أي يستمرون، يداومون، يثبتون، هؤلاء بنو إسرائيل رأوا بأعينهم كيف أن البحر أصبح طريقاً ميبساً، وهذا فوق طاقة كل البشر، وبنو إسرائيل حينما كانوا مع سيدنا موسى، وكان فرعون وراءهم بقوته، وطغيانه، وحقده، وقسوته .

﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَائِلًا أَصْحَابَ مُوسَى إِنَّا لَمُنْذِرُونَ (61) قَالُوا كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) ﴾

[سورة الشعراء]

فرعون الذي كان يذبح أبناء بني إسرائيل، ويستحيي نساءهم، وكان طاغية جبار أفي الأرض، ويدعي أنه إله، وقال :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) ﴾

{ فَقَالَ أَنَارُبُكُمْ الْأَعْلَى (24) }

[سورة النازعات]

فرعون الذي كان في أذهان الناس من سابع المستحيلات أن يُدْمَر ، فإله عز وجل استدبره إلى البحر ، ولما كان في منتصف البحر على طريق بيبس ، عاد البحر بحراً ، فأغرق الله فرعون .

الحكمة من نجاة جثة فرعون وقذفها إلى الشاطئ :

لكن لحكمة بالغة بالغة نَجَّى اللهُ جثته، فقففتها الأمواج إلى الشاطئ، ولو لم يكن ذلك، لما صدقوا أن الله أهلكه، لأنه عندهم إله، قد يقولون رُفِعَ إلى السماء، لكن الله سبحانه وتعالى يقول:

{ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92) }

[سورة قيونس]

والحقيقة فرعون موسى، جثته محنطة، وقد نُقِلَ إلى باريس كي تُرْمَمَ هذه الجثة من بعض الفطور التي أصابتها .
وأحد أكبر الملحنين بأمریکا، حينما التقى بفتاة مسلمة محجبة حجاباً تاماً، حجابها لفت نظره، فعكف على قراءة القرآن، ولما وصل إلى هذه الآية {فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ} عدها من أخطاء القرآن فاتصل بصديقه موريس بوكاي، يبنه، وقد ألف كتاباً عن أحقية القرآن قال له: هذه الآية تفضل، كيف تفهمها؟ قال: المعنى بهذه الآية رمت جثته بيدي، هو كان مدير المشرحة.
جبار، طاغية، يدعي الألوهية، يُقتل أبناء بني إسرائيل، ويستحيي نساءهم والبحر كان بحراً فأصبح طريقاً بيبساً، ونجَّى اللهُ بني إسرائيل، وأهلك فرعون، فلما جاوزوا البحر راوا فرعوناً {يَعْبُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} .

الله فوق كل الخلق يجعل ولا يُجعل :

لذلك أيها الإخوة، قضية الإيمان قضية دقيقة جداً، يجب أن تؤمن أن الخالق لا يُجعل {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا} من هو الجاعل؟ الإنسان، ما عرفوا من هو الله، الله يجعل ولا يُجعل، الله يخلق، ولا يُخلق، الله فوق كل الخلق، فلما قالوا هذا الكلام صُعِقَ سيدنا موسى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}



الإله الذي نجاكم من فرعون، الإله الذي قلب البحر طريقاً بيبساً، الإله الذي أنقذكم، الإله الذي

خلصكم، الإله الذي أكرمكم، الإله الذي نجاكم، تبحثون عن إله آخر؟ طبعاً تطبيقات هذه الآية في حياتنا:

يعني إنسان يكون ابنه على خطر الموت، يأخذه لطبيب، فإذا شفي على يد هذا الطبيب، ينسى أن الله هو الذي شفاه، ويعزو شفاؤه للطبيب، الطبيب إنسان .

إن الطبيب له علم يدل به إن كان للناس في الأجل تأخير

حتى إذا ما انتهت أيام رحلته حار الطبيب وخانته العقاقير

ضعف التوحيد وراء هذه الكلمة {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} هل تعرف من هو الله؟ معقول قطعة من الحجر تُصَيِّعُها أنت، تنحت الرأس، ترى الأنف طويلاً تُقَصِّرُه، ترى الرأس كبيراً تُصَغِّرُه، هذا إله! تتحته بيدك؟! بل إن بعض القبائل، كان ربها من التمر فلما جاعت أكلته، بعض الوثنيين إله الصنم جاء ثعلب وبال على رأسه، فكر، قال:

أربُّ يبول الثعلبان برأسه لقد ضلَّ من بالث عليه الثعالب .

[راشد بن عبيد الله السلمى]

مَنْ ضَعَفَ تَوْحِيدَهُ عَلَّقَ أَمَلَهُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى :

إخواننا الكرام، يوجد بأسيا معابد كبيرة جداً، ما الإله الذين يعبدونه من دون الله؟ الجرد، في اليابان ماذا يعبدون؟ ذكر الرجل، في الهند ماذا يعبدون؟ البقر .



أيها الإخوة الكرام، اشكروا الله عز وجل على أنه حررنا من هذه الأكاذيب، هناك من يعبد ذكر

الرجل، هناك من يعبد الجرد، هناك من يعبد الحجر، هناك من يعبد النار، هناك من يعبد موج البحر، ونحن المسلمون شرفنا الله بأن نعبد الإله العظيم، خالق السماوات والأرض ياموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قد ترون هذا شنيعاً، ولكن أي إنسان يعلق أمله بإنسان قوي بطبعه ويعصي الله لا يختلف كثيراً عن بني إسرائيل، أي إنسان لا يرى أن الله بيده كل شيء، لا يرى أن الله هو الفعال .

﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (16)

[سورة الدروج]

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (84)

[سورة الزخرف]

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُوا إِنَّ اللَّهَ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يُبْصِرُ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (26)

[سورة الكهف]

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِمَآئِرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَتَّبِعُكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (54)

[سورة الأعراف]

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (62)

[سورة الزمر]

﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا خَبْرَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (59)

﴿

[سورة الأنعام]

هذا هو التوحيد، الإنسان من ضعف توحيد يعلق الأمل بغير الله.

المشرك من أطاع مخلوقاً وعصى خالقاً:

ولا تستغربوا هذه الآية، أنهم قالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ وآلاف المسلمين، ومئات ألوف المسلمين قال الله عنهم:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (106)

[سورة قيسف]

الذي يخاف إنساناً ويعصي خالقاً مشرك، الذي يعش المسلمين ماذا رأى؟ أن المبلغ الكبير الذي سيحصله من غشهم أكبر عنده من الله، الذي بطبع مخلوقاً ويعصي خالقه

مشرك.

أيها الإخوة، الشرك الجلي في المسلمين قليل، يعني لا يوجد مسلم يقول الجبل إله، هذا لا يوجد، لكن الذي يضع كل ثقته بإنسان وينسى الواحد الديان، الذي يخاف من إنسان ويعصي الله.

قصة في بلد إسلامي آخر فيه شدة على أهل الدين، موظف كبير، صام رمضان أول يوم يصوم بحياته، ما كان يصوم رمضان، فالتقى مع مديره في الشركة، أو في الوزارة قال له: صائم؟ قال له: لا، لست صائماً، فجاؤوا له بضيافة فأفطر، خاف أن يرى من فوقه أنه صائم، هو يعبد هذا الإنسان من دون الله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ لمجرد أن ترى أن القوة بيد غير الله، ما لم تزل أن الله وحده هو الرفع، وهو الخافض، وهو المعطي، وهو المانع، وهو المعز، وهو المذل، وهو الذي يبرزق، وهو الذي يقنن، هذا هو التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

الإيمان حقيقة مقطوع بصحتها يؤديها الواقع :

أيها الإخوة، لو وقفنا وقفة متأنية عند هذه الظاهرة، ما العلم؟ العلم بتعريف موجز الوصف المطابق للواقع، المقياس هو الواقع، للتوضيح: تألق المصباح في لوحة البيانات في السيارة، تألق المصباح الأحمر في لوحة البيانات إذا ظننت أن هذا التألق تزييني، فهو الجهل بعينه، وإذا علمت أن هذا التألق تحذيري فهو العلم، هو في الحقيقة تألق تحذيري، نسبة الزيت قلت في المحرك، فلئلا يحترق المحرك، تألق هذا الضوء يعني قف، وأضف الزيت، فهمك للتألق على أنه تزيين هو الجهل بعينه، وفهمك للتألق على أنه تحذير هو العلم بعينه، فالعلم: الوصف المطابق للواقع .

هذا شرح موجز، الأوسع هي علاقة على شكل قانون مقطوع بصحتها، أحياناً يقول لك: 80% متأكد، 80% ظن، 50% شك، 30% وهم، فالعلم ليس وهماً، ولا شكاً، ولا ظناً، العلم يقيني، قطعي الدلالة، فالمقولة العلمية على شكل قانون، الشيء الأول أنها مقطوع بصحتها، والشيء الثاني تطابق الواقع، والشيء الثالث عليها دليل، إن ألغيت الدليل فالقضية التقليدية، ولا يُقبل في عقيدة المسلم اعتقاد تقليدي، لا بد من اعتقاد مبني على البحث والدرس، والدليل:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَّوِّكُمْ﴾ (19)

[سورة محمد]

ما قال فقل، هنا ﴿فَاعْلَمْ﴾ ولو أن الله قبل عقيدة تقليدية لكانت كل الفرق الضالة ناجية عند الله، لو أن الله يقبل عقيدة تقليدية لكانت كل الفرق الضالة ناجية عند الله، لأنها قلدت من تزعم هذا الاتجاه المعين، ولقنهم كلاماً فصدقوه .

لذلك في العقيدة لا يُقبل العقيدة إلا عن علم، وعن قناعة، وعن بحث، وعن درس، وعن دليل، والدليل على ذلك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ إذا: الإيمان: حقيقة مقطوع بصحتها، يؤديها الواقع عليها دليل، لو ألغيت الدليل لكان الكلام تقليدياً ولو كان صحيحاً، لو ألغيت الواقع لكان الكلام جهلاً.

الفرق بين الجهل و عدم العلم :

الآن هناك موضوع دقيق جداً، هل هناك بين الجهل وبين عدم العلم فرق كبير جداً؟ تصور وعاء، وعاء الجاهل ممتلئ بتعليمات مغلوطة، أما وعاء غير العالم فارغ، فعدم العلم شيء، والجهل شيء آخر، الجاهل يملك آلاف المعلومات غير الصحيحة، آلاف القوانين الخاطئة، آلاف التصورات الواهمة، ممتلئ بالمعلومات لكن كلها غلط، مثلاً للتوضيح:

لو شخص عنده قناعة أنه كلما أكثر من ملح الطعام ينخفض ضغطه، هذه معلومة غير صحيحة



بالعكس مدمرة، وقد تكون قاتلة، كلما زدت الملح انخفض الضغط، بالعكس هي، كلما زاد الملح ارتفع الضغط، والضغط القاتل الصامت، تصور إنسان عنده هذه القناعة، وهناك إنسان آخر يقول لك: كلما كان وزنه أثقل صحته أطيب، لا، هذا كلام مضحك، لأن الوزن الزائد من الأمراض الويبلية، فإذا شخص كل معلوماته خطأ، قال أحد الشعراء الجاهليين:

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادر بما ملكت يدي

[طرفة العين العبد]

يقول لك شخص: بقدر ما تستطيع استمتع بالحياة، هذه معلومة غلط، أي بقدر ما تقدر دمر نفسك، بقدر ما تقدر أهلك نفسك، فالجهل أن تمتلئ بالمعلومات غير الصحيحة، أن تمتلئ بالقواعد الخاطئة، أن تمتلئ بالتصورات الواهية، هذا جاهل اسمه .

شخص يظن أنه كلما ظن أنه كسب مالا غير مشروع يعد شاطراً، والجاهل الثاني يقول لك دبر حاله ، والله رجل، الاثنين أجهل من بعضهم، كلمة جاهل يعني يتكلم، معه شهادات عليا أحياناً، يتفلسف عشر ساعات، يلقي عليك محاضرة باللغة الفصحى وهو جاهل، معنى جاهل يعني معلوماته غلط، تصوراته غلط، معنى جاهل متصور أن هذه الدنيا كل شيء، يقول لك الغني هو بالجنة عايش، ما هي الجنة؟ أن تكون غنياً، هذا جهل، بالعالم الغربي عندهم مقولة، مايت ميك رايت، يعني أنت قوي أنت على حق، من هو صاحب الحق؟ القوي فقط، كما يفعلون، مادمت قوياً أفعل ما تشاء، دمر، اقتل، أنت على حق، لأنك قوي، هذه المقولة تنتهي إلى النار، إلى جهنم، يوجد إله يحاسب.

﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)﴾

[سورة إبراهيم]

إذا توهمت أن (الله غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) هذا هو الجهل بعينه، وإذا علمت أن الله ليس بغافل، وسوف يحاسب، وسوف يعاقب فأنت العالم.

إقناع الإنسان الغير متعلم أهون ألف مرة من إقناع الإنسان الجاهل :

أنا أقول لك كلاماً دقيقاً: احذروا الجهل، الجاهل معه دكتوراه أحياناً، الجاهل بأعلى مكان يكون أحياناً، متكلم فصيح، طليق اللسان، له مؤلفات كثيرة . ألفت كتاب في لبنان أن إله محمد قمعي، لأنه ما قبل معه إله آخر ، أليس لا إله إلا الله؟ أما آلهة قريش كانوا ديمقراطيين، لأنه كل إله قبل معه إله آخر ، هناك اللات، والعزى، يوجد كتب كلها جهل، يعني الجهل متفشي، والجهلاء دكاترة وأصحاب شهادات عليا، وتنظيرهم مادي، والدنيا هي كل شيء، والقوي صاحب الحق، أما غير العالم إنسان إنناؤه فارغ.

لذلك أهون ألف مرة أن تقنع إنساناً لا يعلم، من أن تقنع إنساناً جاهلاً، يعني معه معلومات خاطئة، مشكلتك مع الإنسان الجاهل، عندك مهمتان كبيرتان، الأولى أن تنزع من تصوره هذه المعلومة، والثانية أن تعطيه البديل، مهمة مزدوجة أن تنتزع منه هذه المعلومة، ثم أن تعطيه البديل، أما غير المتعلم، أو غير الجاهل، أو غير العالم، إنناؤه فارغ . تجد أحياناً سهل جداً تقنع إنساناً أجنبياً بالإسلام، عن أن تقنع شخصاً منافقاً بالإسلام الصحيح .

الجاهل هو الإنسان الذي ابتعد عن منهج الله وعن القيم التي جاء بها الدين :

إيها الإخوة الكرام، الأمي، أو غير المتعلم، أو غير العالم إقناعه سهل بالدين، لأن وعاءه فارغ .

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

[قصيدة الملوحة]

أما الذي عنده معلومات خاطئة، الذي عنده قناعة أنه يفعل ما تشاء والذبي يشفع لك مشكلة، يرتكب المعاصي وهو مطمئن.

((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))

[أخبره أبو داود الترمذي عن أنس بن مالك]

مرتاح، شيء مريح جداً، هذا جاهل، جاهل يعني معه معلومات، ويحفظ أحاديث وآيات كثيرة، يقول لك: لماذا الربا حرام؟ اسمعوا الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً تَنقُوهَا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ (130)﴾

[سورة آل عمران]

الله نهى عن الأضغاف المضاعفة فقط، أما عن نسب معقولة ما نهى عنه. ألا تستقيم؟ أنا موقن بالله، الله قال:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)﴾

[سورة الحجر]

إذا أيقنت انتهى، هذا جاهل، الجاهل معه معلومات، ومع أدلة أحياناً، ومتكلم وفصيح، ومع شهادات عليا، وهو عند الله جاهل، الجاهل الذي ابتعد عن منهج الله، ابتعد عن القيم التي جاء بها الدين، ابتعد عن المبادئ .

من ابتعد عن تعليمات الصانع خسر الدنيا والآخرة :

فيا أيها الإخوة، ماذا قال؟

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ رأوا كيف أصبح طريقاً، رأوا كيف أن فرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ والذي قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ كيف غرق ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ماذا قال سيدنا موسى؟ ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ رأوا تجارب رائعة جداً ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِفِيهِ وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139)﴾

[سورة الأعراف]

الذين يعكفون على أصنام لهم ﴿مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ﴾ يعني هالكون، أشقياء، ابتعدوا عن منحج الله، ابتعدوا عن تعليمات الصانع، ابتعدوا عن الخير، ابتعدوا عن الآخرة، خسروا الآخرة.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15)﴾

[سورة الزمر]

الحق ثابت لا يتبدل أو يتغير و الباطل زائل لا محالة :

إخواننا الكرام، الحق ثابت، معنى حق أي مستقر، الحق لا يتعدد، والحق ثابت، الله عز وجل قال :

﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)﴾

[سورة إبراهيم]



القول الثابت القرآن الكريم، لأنه كلام رب العالمين، لأن هذا القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا من خلفه، الحق ثابت لا يتغير، ولا يتبدل، يعني كم فرقة ضالة أتت في تاريخ المسلمين؟ أين هي الآن؟ تلاشت، لأنها باطلة، والإسلام بقرانه، وسنة نبيه هو الشامخ، هو كالطود، الحق ثابت، والباطل زائل .

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۗ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)﴾

[سورة الإسراء]

والباطل الذي طرح شعار لا إله بقي سبعة عماماً، وكان من أقوى الكيانات في الأرض، يملك من القنابل النووية ما تدمر القارات الخمس، ومع ذلك لأنه كان باطلاً، كان زهوقاً: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

العالم المادي لم يحقق للإنسان السلامة والسعادة لذلك اتجه نحو الإسلام :

الآن أي طرح باطل، أي فلسفة باطلة، أي عقيدة باطلة، أي قوة باطلة، أي كيان باطل، إلى زوال ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ما الذي يبقى؟ هو الحق، الآن بالخمسينات كم مذهب وضعي انتشر وذاع وتآلق ثم تلاشى ولم يبق إلا الدين؟ في بعض البلاد الغربية يدخل في اليوم الواحد خمسون إنساناً من أصل أوروبا، في بلد واحد، يوماً في الإسلام، لأنه المذهب الوضعية لم تحقق للإنسان كل حاجاته، حققت له حاجات الجسد، رفاه يفوق حد الخيال، موصلات، اتصالات، مخترعات، بيوت جميلة، حدائق، مركبات، كل شيء في الدرجة الأولى، أما الإنسان هناك فراغ لا تملؤه المادة، يملؤه الإيمان.

لذلك العالم الغربي يدخل في الإسلام بشكل عجيب، في أمريكا، في استراليا، في أوروبا، لأن العالم المادي ما حقق للإنسان السلامة والسعادة، حقق له رفاهاً. أحياناً الإنسان يضجر من هذه الأجهزة المرفهة، والمركبات، والطائرات، يريد أن يبكي، يريد أن يتصل بالله، يريد أن يطمئن إلى آخرته، يريد أن يستقر .

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

وَأَلْكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (31) نَزَّلْنَا مِنْ غُورِ رَجِيمٍ (32) ﴿

[سورة فصلت]

الإسلام هو الدين الأول في العالم :

أيها الإخوة، قال تعالى :

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَبْتَغِي النَّاسُ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17) ﴾

[سورة الرعد]

الإسلام هو الدين الأول في العالم، مع أن حرباً عالمية ثالثة معلنة عليه، ومع ذلك هو الدين الأول الذي ينمو .

أيها الإخوة، ماذا قال سيدنا موسى؟ قال :

﴿ إِنَّ هُوَ لَا يَمْتَرُ مَا هُمْ فِيهِ ﴾ هالكون ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ باطل يعني زائل، أعمالهم إلى دمار، حضارتهم إلى دمار .

الإنسان بقبضة الله عز وجل فعلية ألا يعبد غيره سبحانه :

﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) ﴾

[سورة الأعراف]



أي معقول أن تتخذ إلهاً غير الله؟ الذي خلق السموات والأرض، الذي بيده حياتك وموتك، الذي بيده

جسمك وصحتك في قبضة الله

رزقك، الذي بيده أجهزتك، الذي بيده زوجتك، وأولادك، ومن حولك، ومن فوقك، ومن تحتك.

القلب بيد من؟ الأوعية الدموية بيد من؟ الإنسان بلمحة يصبح مشلولاً، خثرة دم لا ترى بالعين تتجمد في أحد أوعية الدماغ، يفقد الإنسان حركته، أو يفقد بصره، أو يفقد سمعه، أو يفقد ذاكرته، بتأنيبه، من أنت؟ كل قيمتك، وقدرتك، وهيمتك، وشخصيتك منوطة بسيولة دمك، منوطة بنمو خلاياك. فلذلك أيها الإخوة، أنت في قبضة الله، وجسمك بفضل الله يتمتع بالصحة الجيدة كان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ من فرأشه يقول :

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي ، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي ، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ أي معقول أن تعبد إنساناً من دون الله؟ معقول أن تعبد شخصاً من دون الله؟ معقول أن تعبد المال؟

شخص قال مرة: الدار هم مراهم، يقصد أنه بالمال تُحل كل مشكلاته، فإله عز وجل أدبه بمشكلة لا تحل بالمال، قال لي: بقيت في المنفرة 64 يوماً، والمال لا يحل هذه المشكلة، الله كبير، أنت حينما تو من أصبحت قوياً لأن قوتك من قوة الله، أصبحت حكيماً، حكمتك من حكمة الله، أصبحت غنياً غناك من غنى الله عز وجل. ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ كأنهم نسوا ما فعل بهم فرعون .

﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141) ﴾

[سورة الأعراف]

على كل إنسان أن يذكر نعم الله الكبرى عليه :

الله عز وجل في بعض الآيات يقول :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿5﴾﴾

[سورة إبراهيم]

هذا درس بليغ، وتوجيه حكيم، يعني لا يوجد شخص من إخوتنا الكرام إلا له مع الله تجربة، مرة دعاه فاستجاب له، هيا له زوجة صالحة، هيا له عملاً، نجح بشهادة، يتقن حرفة، كان أمامه شبح مرض فأنقذه الله منه، فإذا أنقذك الله من شبح مرض، أو هيا لك وظيفة تدر عليك دخلاً يغطي حاجاتك، أو هيا لك زوجة، أو ولاداً، أو هيا لك إيماناً، هيا لك مكاناً فيه مجلس علم، هذه نعم الله الكبرى تذكرها ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

على كل إنسان أن يعود نفسه أن يتذكر أيام الله عز وجل :

لذلك ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾



عود نفسك أن تتذكر أيام الله، عود نفسك أن تتذكر كيف أن الله سبحانه وتعالى أكرمك بالديك، أكرمك

تذكر نعمة الله عليك

بصحة، أكرمك بخلق تام، حواسك سليمة، أعضاؤك سليمة، قوامك مقبول، قوتك جيدة، لك سمعة طيبة، تربيت في بلد طيب ذلك على أهل الحق، هذه كلها أيام الله، أنا أستنبطها من هذه الآية.

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ تذكر نعمة الله عليك، يعني الإنسان أحياناً يمر بإنسان مصاب، هناك أمراض وبيلة، هناك مصائب لا تحتمل، هناك شيء فوق طاقة البشر :

﴿لَا يَكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةٍ لَنَا بِحَرْمٍ لَنَا بَلَاءٌ وَأَنْتَ مُؤَلِّنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (28)﴾

[سورة البقرة]

دخلت إلى بيتك لك ماوى، الحمد لله الذي أواني، وكم ممن لا ماوى له، لك زوجة والزوجة نعمة كبيرة، لا تكفر هذه النعمة، أيتها المرأة لك زوج، والزوج نعمة كبيرة، لا تكفري هذه النعمة، لك أو لاد، الإنسان يكون معه ملايين مملينة ما عنده أو لاد، إذا رأى طفلاً صغيراً يموت من الألم، عندك أو لاد، يملؤون البيت فرحة، اعتن بهم، اشكر الله عليهم، إذا الله عز وجل منحك صحة، منحك إيماناً، منحك سمعة طيبة، منحك ماوى صغير، منحك زوجة.

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قَوْلٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا جِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن محسن]

نعمة الأمن نعمة ثمينة لا تقدر بثمن :

أنا أحاول من خلال هذه الآيات أن أسقطها على واقعنا، نحن نشكو أشياء كثيرة، لكن هل ترى ماذا يحدث حولنا؟ من إراقة دماء يومياً منة قتيلاً، منتي جريح يومياً، لا يوجد أمن إطلاقاً، نعمة الأمن التي عندنا نعمة كبيرة جداً، نعمة وجود أسر سليمة، معافاة، يعني عندنا ميزات كبيرة جداً، هناك إنسان سبحان الله، كما قال الله عز وجل :

﴿ثُمَّ لَا يَأْتِيهِمْ مِنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ شَوْءٌ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)﴾

[سورة الأعراف]

بأي مكان في العالم لا ماء إلا بالمال، عندك بالشام تفتح الصنبور تجد ماء بارداً عذباً، ز لالاً، مجاناً، هذه نعمة كبيرة، نعمة الماء، نعمة أنه أنت لك بيت، لك ماوى، لك زوجة، لك أو لاد، لك عمل، لك دخل، هذه نعم كبيرة .

لذلك التوجيه النبوي: انظر إلى من هو أدنى منك، ذلك أحرى ألا تحتقر نعمة الله عليك.

((انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم))

أما في شأن الدين إياك أن تنظر إلى من هو أدنى منك، في شأن الدين انظر إلى من هو فوقك في



الإيمان، من أجل أن تتحمس، من أجل أن يكون هذا النظر باعثاً لك على مضاعفة الجهد، في شأن الدنيا انظر إلى من هو أدنى منك، في شأن الآخرة انظر إلى من هو فوقك .
له كلمة سيدنا عمر: من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط.
يكون ساكناً في بيت دافئ في الشتاء، بارد في الصيف، مساحته معقولة، عنده غرفة نوم، عنده غرفة جلوس، عنده مطبخ، عنده زوجة، عنده أولاد، يدخل إلى بيت 450 متراً، التحف بالملايين، الأجهزة، خمسة أو ستة مركبات، يجد ما عنده شيء هو، من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط.

بطولة الإنسان أن ينقل اهتماماته من الدنيا إلى الآخرة :

أنت عاشير من هو أدنى منك، تجد نفسك بنعم كبيرة، والحياة مؤقتة، أي لا يوجد إنسان يموت ويأخذ معه شيئاً، أحياناً شخص بحكم علاقاته الاجتماعية يعزّي إنساناً ساكن ببيت غالي كثيراً، أنا أفكر في هذا البيت، من اختار هذا الأثاث؟ المرحوم، من اختار هذا الجبصين؟ المرحوم، من اختار هذا البلاط الرخامي؟ المرحوم، من اختار هذه التزيينات؟ المرحوم، أين المرحوم؟ بالقبور المرحوم.
البطولة أن تؤمن بالآخرة، أن تنقل اهتماماتك إلى الآخرة .
أيها الإخوة، آيات اليوم:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هُوَ لَأَمْثَلٌ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَفْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141)﴾

والحمد لله رب العالمين